﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: 166]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرّبطُ بيْنَ عذَابِ الظّالمين، وتبرُّؤِ بعضِهِمْ مِنْ بعْضٍ يوْمَ الدِّينِ

لَمّا بَيَّنَ حَالَ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا، بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ عَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ، زَادَ في هَذَا الوَعِيدِ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾؛ فبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ أَفْنَوْا عُمْرَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، واعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَوكَدُ أَسْبَابِ نَجَاتِهِمْ، فإِنَّهُمْ يَتَبَرَّؤُونَ مِنْهُمْ عِنْدَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِمْ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

تبرُّؤُ المتْبُوعِ مِنَ التّابِعِ، لَيسَ إلّا فِرارًا مِنَ التَّبِعاتِ

1) ﴿تَبَرَّأَ﴾: من الجذر (برأ)، وأَصْلُ هذه المادّة: التَّبَاعُدُ مِنَ الشَّيْءِ ومُزَايَلَتُهُ[2]، والبَرَاءُ: الانفصالُ مِمّا يُكْرَهُ مجاوَرَتُه؛ ولذلك قيل: بَرَأْتُ من المَرَضِ، قال ﷺ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التّوبة: 1]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التّوبة: 3][3].

كلُّ سَبَبٍ مَوْصُولٍ بِغيرِ الله فهُوَ مُنْقَطِعٌ

2) ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾: من الجذر (قطع)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى صَرْمِ وإِبَانَةِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ[4]، والقَطْعُ: فَصْلُ الأشياءِ المحْسوسَةِ، كالأجْسامِ، أوِ الأشياءِ المعْقُولَةِ، قال تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الأعراف: 124]، وقَطْعُ الرّحِمِ يكون بالهجْرانِ، قال تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمّد ﷺ: 22][5].

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 1/179-180.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برأ).
(3) الراغب، المفردات، السمين، عمدة الحفاظ: (برأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قطع).
(5) الراغب، المفردات: (قطع).

أبـقـى أسـبـابِ الـعَـلائِـقِ وأقْواها، ما كانَ للهِ دونَ سِواهِ

3) ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: منَ الجذر (سبب)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى طُولٍ وامْتِدَادٍ، ومِنْ ذَلِكَ السَّبَبُ[1]، وهو: الحَبْل الّذي يُصْعَدُ به النّخْلُ، وجمعُهُ أَسْبَابٌ، قال تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ [ص: 10]، وسمّيَ كلُّ ما يُتَوصّل به إلى شَيْءٍ سَبَبًا، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: 84- 85][2].

وفي الآية يعني بها: وُصَلَهُمُ الّتي كانت تَجْمَعُهُمْ، أسبابُ المودّة والوُصَلات الّتي كانت بينهم في الدّنيا، تقطّعتْ وصارتْ مُخالَّتُهُمْ عَداوَةً[3]، يَعْني القَرابات الّتي كانتْ بَيْنَهم في الدّنيا والصّداقات، فلم يَنتَفِعوا بها[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

عِنْدَ مُعايَنَةِ عَذَابِ الآخِرَةِ، يَتَبَرَّأُ الرُّؤَسَاءُ المَتْبُوعُونَ مِمَّنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى الشِّرْكِ، وتَنْقَطِعَ بَيْنَهُمْ كُلُّ الصِّلَاتِ الَّتِي ارْتَبَطُوا بِهَا في الدُّنْيَا: مِنَ القَرَابَةِ، والاتِّبَاعِ، والدِّينِ، وغَيْرِ ذَلِكَ[5]، فيُسْقَطُ في أَيْدِيهِمْ، ولَا يَجِدُونَ مَلْجَأً مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ولَكِنْ هَيْهَاتَ وقَدْ رَأَوا العَذَابَ وتَقَطَّعَتْ بِهِم الأَسْبَابُ! فيَنْدَمُونَ ولَاتَ حِينَ مَنْدَمٍ.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

تقديرُ مُتَعَلَّقِ الظَّرْفِ في قَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾:

في مَوْقِفِ الآخِرَةِ لا تُغْني نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا

ظَرْفُ الزَّمَانِ ﴿إِذْ﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾، جَعَلَهُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ ظَرْفًا لِشِدَّةِ العَذَابِ، "والمَعْنَى: وإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذَابِ حِينَ ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ - وهُمْ سَادَاتُ الكُفَّارِ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبب).
(2) الراغب، المفردات: (سبب).
(3) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/480.
(4) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/538.
(5) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: ص25.

وأَهْلُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ، والجَبَابِرَةُ - ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، وهُمْ أَتْبَاعُ السَّادَاتِ"[1]، "عَامِلُ الإِعْرَابِ في (إِذْ) مَعْنَى شَدِيد، كَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ شَدِيدُ العَذَابِ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾، يَعْنِي في وقْتِ التَّبَرُّؤِ"[2]، فشِدَّةُ العَذَابِ تَكُونُ وقْتَ التَّبَرُّؤِ.

واخْتَارَ الزَّمَخْشَرِي أَنَّ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بَدَلٌ مِنْ: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾[3]؛ فهُمْ تَبَرَّؤُوا مِنْهُمْ في وقْتِ رُؤْيَةِ العَذَابِ، والإِعرابَانِ صَحِيحَا المَعْنَى، وإن كان الثَّاني أَقْرَبَ.

إِيثَارُ التَّعْبِيرِ بالفِعْلِ المَاضِي في قَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾:

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾، "جِيءَ بالفِعْلِ بَعْدَ (إِذْ) هُنَا مَاضِيًا، مَعَ أَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ في المَعْنَى؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا يَحْصُلُ في الآخِرَةِ؛ تَنْبِيهًا عَلَى تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ"[4]، فهو حديثٌ عن حالٍ مستقبلَةِ الوقوع، بأسلوبِ الإخبارِ عمَّا حصَلَ، تحقيقًا لوقوعِه.

مـا أَخْـبَرَ اللـهُ بِـوُقـوعِـهِ، فهُو واقِعٌ لا مَحالَةَ

مَا فائِدَةُ ذِكْرِ ﴿تَبَرَّأَ﴾ إِذَا كَانَ مَصِيرُهُم العَذَابَ جَمِيعًا؟

إِذَا كَانَ العَذَابُ مَصِيرَ الأَتْبَاعِ والمَتْبُوعِينَ جَمِيعًا، فما فائِدَةُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾؟ وقَدْ أَجَابَ الرَّازِي عَنْهُ بقَوْلِهِ: "مَعْنَى الآيَةِ أَنَّ المَتْبُوعِينَ يَتَبَرَّؤُونَ من الأَتْبَاعِ ذَلِكَ اليَوْمِ، فبَيَّنَ تعالى مَا لأَجْلِهِ يَتَبَرَّؤُونَ مِنْهُمْ، وهُوَ عَجْزُهُمْ عَنْ تَخْلِيصِهِمْ من العَذَابِ الَّذِي رَأَوْهُ؛ لأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ يَدْخُلُ في مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلَى تَخْلِيصِ أَنْفُسِهِمْ وأَتْبَاعِهِمْ سَبَبًا، والآيِسُ مِنْ كُلِّ وجْهٍ يَرْجُو بِهِ الخَلَاصَ، مِمَّا نَزَلَ بِهِ وبِأَوْلِيَائِهِ من البَلَاءِ، يُوصَفُ بِأَنَّهُ تَقَطَّعَتْ بِهِ الأَسْبَابُ"[5].

الهالِكُ في مَوْقِفِ القِيامَةِ، لا يَنْفَعُ نَفْسَهُ ولا غَيْرَهُ

(1) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/538.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/180.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/212.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/96.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/180.

فنُّ التَّرْصِيعِ في قَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾:

المحسّناتُ البَديعيَّةُ لَها أَثَرٌ في النَّفسِ والإيقاعِ

في الآيَةِ وردَ تَعْبيرَانِ مُتَوَافِقَانِ، قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، ويُسَمَّى هَذَا بِالتَّرْصِيعِ[1]، وهُوَ أنْ يَكُونَ الكَلامُ ذا وَقْعٍ صوتيٍّ مُنسابٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: 267]، "وهو مُحَسِّنٌ الحَذْفَ لِضَميرِ المَوْصُولِ في قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، إذْ لَوْ جاءَ (اتَّبَعُوهم)؛ لَفاتَ هَذا النَّوْعُ مِنَ البَدِيعِ"[2].

إعرابُ جملةِ ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾:

ذهَبَ أساطينُ البلاغةِ إلى أنَّ معنى الحالِ هو الأوفقُ بالمقامِ

الوَاو في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ لِلحَالِ، والجُمْلَةُ بَعْدَهَا حَالِيَّةٌ، والعَامِلُ في هَذِهِ الحَالِ: ﴿تَبَرَّأَ﴾[3]، وهُوَ اخْتِيَارُ الزَّمَخْشَرِي: "أَي: تَبَرَّؤُواْ في حَالِ رُؤْيَتِهِمُ العَذَابَ"[4]، ورجّحَهُ الرّازيّ بحجَّةِ أنَّه "أَولَى مِنْ سَائِرِ الأَقْوَالِ؛ لِأَنَّ في تِلْكَ الحَالَةِ يَزْدَادُ الهَوْلُ والخَوْفُ"[5]، وجَعَلَهُ أَبُو السُّعُود "لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عِلَّةِ التَّبَرُّؤِ"[6]، وزَادَ ابن عَاشُور ذَلِكَ بَيَانًا فقال: "مَوْقِعُ الحَالِ هُنَا حَسَنٌ جِدًّا، وهِيَ مُغْنِيَةٌ عَن الاسْتِئْنَافِ الَّذِي يَقْتَضِيه المَقَامُ؛ لِأَنَّ السَّامِعَ يَتَسَاءَلُ عَنْ مُوجِبِ هَذَا التَّبَرُّؤِ؛ فإِنَّهُ غَرِيبٌ، فيُقَال: رَأَوُا العَذَابَ، فلَمَّا أُرِيدَ تَصْوِيرُ الحَالِ وتَهْوِيلُ الاستِفظاعِ، عَدَلَ عَنِ الاسْتِئْنَافِ إِلَى الحَالِ؛ قَضَاءً لحقِّ التَّهْوِيلِ، واكْتِفَاءً بالحَالِ عَن الاسْتِئْنَافِ؛ لِأَنَّ مَوْقِعَهُمَا مُتَقَارِبٌ"[7].

---

(1) التّرصيع: ويقال فيه: السَّجْعُ المرصَّعُ، وهو أن تكون الألفاظ المتقابلة في السَّجْعَتَيْنِ متّفقةً في أوزانِها وفي أعْجَازِها، أي: في الحرف الأخير من كلّ متقابلين فيها، مثل قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝﴾ [الغاشية: 25 - 26]، فالتّقابُلُ في كَلِمَاتِ الفقرتين يُلاحَظُ فيه الاتفاقُ في الأوزان وفي الحرف الأخير: (إنّ - إِلَيْنَا - إيَابَهُمْ - ثم إنَّ - عَلَيْنَا - حِسَابَهُمْ)، أمّا كلمة (ثُمَّ)، فهي بمثابة المشترك بين الفقرتين، حبنّكة الميداني، البلاغة العربيّة: 2/505.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/92.

(3) السمين، الدّر المصون: 2/217.

(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/212.

(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/180.

(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 1/187.

(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/97.

أثرُ الوَصْلِ في تشديدِ العذابِ على الظَّالمين:

الوَاو في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾، عَطْفٌ عَلَى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾[1]، فيَكُونُ المَعْنَى: عِنْدَ رُؤْيَةِ العَذَابِ حَدَثَ شَيْئَانِ (تَبَرَّؤُواْ مِنْهُمْ)، و(تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ)، في حَالَةِ رُؤْيَةِ العَذَابِ، وهذا من أشدِّ ما يقعُ على الظَّالمين، إذ يجتمعُ عليهم أمران: تبرُّؤُ المتبوعين منهم، وانقطاعُ أسبابِ الرَّجاءِ.

التّبرُّؤُ وانْقِطاعُ الأسبابِ، عذابٌ معنويٌّ من ورائِه عذابٌ ماديٌّ

مَرْجِعُ الضَّمِيرِ في قَوْلِهِ: ﴿وَرَأَوُاْ﴾، و﴿بِهِمُ﴾:

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾، ورَدَ اسْمَانِ ظَاهِرَانِ، وهُمَا قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾، و﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، أي المتبوع والتّابعُ كلاهُما، ثُمَّ أَتْبَعَهُمَا إِضْمَارًا، في قَوْلِهِ: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾، و﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾، فضَمِير "﴿رَأَوُاْ﴾ ضَمِيرٌ مُبْهَمٌ، عَائِدٌ إِلَى فريقَي الَّذِينَ اتُّبِعوا والّذين اتَّبَعُوا ... والضَّمِيرُ المَجْرُورُ ﴿بِهِمُ﴾ عَائِدٌ إِلَى كِلَا الفَرِيقَيْنِ"[2]، وهذا يَقُودُ العاقِلَ إلى عَدَمِ مُتَابَعَةِ الظَّالمين في أعمالِهم وأقوالِهم، فلنْ يعْدُو أن يكونَ حِينَئِذٍ إِلَّا من أولئك المتقطِّعةِ بهم الأسباب.

تَصْويرُ أَزْمَةِ العَلائِقِ بَيْنَ التّابِعِ والمَتْبوعِ، وأنَّهُ لا نَجاةَ لِلطَّرَفَيْنِ

مَعْنَى البَاءِ في قَوْلِهِ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾:

جَعَلَ الوَاحِدِيُّ البَاءَ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ "بِمَعْنَى (عَنْ)، كَقَوْلِهِ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفُرْقَان: 59]، أَيْ: عَنْهُ"[3]، والرَّاجِحُ أَنْ لَا يَخْرُجَ الحَرْفُ إِلَى مَعْنَى حَرْفٍ آخَرَ عَلَى وجْهِ التَّمَامِ، وهَذَا مَا عَلَيْهِ المُحَقِّقُونَ من النُّحَاةِ وأَهْلِ العَرَبِيَّةِ، وهُوَ مَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ؛ فهُمْ لَا يُخْرِجُونَ مَعْنَى حَرْفِ جَرٍّ إِلَى مَعْنَى حَرْفٍ آخَرَ، وهَذَا أَحَقُّ مَعَ كِتَابِ اللهِ تعالى، وفي البَاءِ هُنَا من الدَّلَالَةِ مَا لَيْسَ في (عَنْ)؛ فـ﴿وَتَقَطَّعَتْ

يَـوْمَ القِيامَةِ لا سَبَبَ ولا نَسَبَ إلّا ما كان باللهِ ولِلهِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/212، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/97.
(3) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/478.

بِهِمُ﴾، يُبَيِّنُ أَنَّ وقْتَ زَوَالِ الأَسْبَابِ كَانَ وقْتَ الحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ لِمَا في البَاءِ مِنْ مَعْنَى الإِلْصَاقِ، فكَأَنَّ الأَسْبَابَ زَالَتْ عَنْهُمْ وقْتَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، وهُمْ يَظُنُّونَ قُرْبَهَا وفَائِدَتَهَا، فزَالَتْ عَنْهُمْ فجْأَةً، وهَذَا أَظْهَر لِلحَسْرَةِ والفَاجِعَةِ المُرَادِ التَّعْبِيرُ عَنْهَا، وصَرَّحَ بِهَا في الآيَةِ اللَّاحِقَةِ، وهَذَا المَعْنَى لَا يَتَوَفَّرُ عَلَيْهِ الحرفُ (عَنْ)، وإِلَى هَذَا المَعْنَى أَلْمَحَ الفَخْر الرَّازِي بِقَوْلِهِ: "فبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ أَفْنَوْا عُمُرَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، واعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَوكَدُ أَسْبَابِ نَجَاتِهِمْ، فإِنَّهُمْ يَتَبَرَّؤُونَ مِنْهُمْ عِنْدَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِمْ"[1].

ومِنَ الوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرُوهَا في البَاءِ هُنَا، أَنَّهَا "لِلسَّبَبِيَّةِ؛ أَيْ تَقَطَّعَتْ بِسَبَبِ كُفْرِهِم الأَسْبَابُ الَّتِي كَانُوا يَرْجُونَ بِهَا النَّجَاةَ، أَوْ لِلتَّعْدِيَةِ، أَيْ قَطَّعَتْهُم الأَسْبَابُ، كَمَا تَقُولُ: فرَّقَتْ بِهِم الطَّرِيقُ، أَيْ فرَّقَتْهُمْ"[2]، وأَحْسَنَ ابنُ عَاشُور إِذْ قَالَ: "البَاءُ في ﴿بِهِمُ﴾ لِلمُلَابَسَةِ، أَيْ: تَقَطَّعَت الأَسْبَابُ مُلْتَبِسَةً بِهِمْ، أَيْ فسَقَطُوا، وهَذَا المَعْنَى هُوَ مَحَلُّ التَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّ الحَبْلَ لَوْ تَقَطَّعَ غَيْرَ مُلَابِسٍ لِلمُرْتَقِي عَلَيْهِ، لَمَا كَانَ في ذَلِكَ ضُرٌّ؛ إِذْ يُمْسِكُ بِالنَّخْلَةِ ويَتَطَلَّبُ سَبَبًا آخَر يَنْزِلُ فِيهِ؛ ولِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: (وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهُمْ)، أَوْ نَحْوَهُ، فمَنْ قال إِنَّ البَاءَ بِمَعْنَى (عَنْ)، أَوْ لِلسَّبَبِيَّةِ، أَو التَّعْدِيَةِ، فقَدْ بَعُدَ عَن البَلَاغَةِ"[3].

دَلَالَةُ التَّعْرِيف في لَفْظِ ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾:

تَنَوُّعُ مَفْهومِ الأسبابِ إلى سَبْعَةِ أَقْوالٍ، دَليلُ ثَراءِ اللُّغَةِ القُرْآنِيَّةِ واتِّساعِها

آثَرَ النَّظمُ أَنْ يُعَبِّرَ عَن الأَسْبَابِ بِالتَّعْرِيفِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهَا أَسْبَابًا مَعْهُودَةً بَيْنَهُمْ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى أرادَ أن يجمعَها في كلمةٍ واحدةٍ؛ لتحُلَّ في أذهانِهم جميعًا، وقَدْ أَحْسَنَ الفَخْر الرَّازِيّ، إِذْ جَمَعَ مَا قِيلَ في بَيَانِ هَذِهِ الأَسْبَابِ فقال: "ذَكَرُوا في تَفْسِيرِ الأَسْبَابِ سَبْعَةَ أَقْوَالٍ، الأَوَّلُ: أَنَّهَا المُوَاصَلَاتُ الَّتِي كَانُوا يتواصَلُونَ عَلَيْهَا، الثَّاني: الأَرْحَامُ الَّتِي كَانُوا يَتَعَاطَفُونَ بِهَا، الثَّالِث: الأَعْمَالُ الَّتِي كَانُوا يُلْزَمُونَهَا، والرَّابِعُ: العُهُودُ والحِلْفُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، يَتَوَادُّونَ عَلَيْهَا، الخَامِس: مَا

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/179-180.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 1/270.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/98.

كَانُوا يَتَوَاصَلُونَ بِهِ مِن الكُفْرِ، وكَانَ بِهَا انْقِطاعُهُمْ، السَّادِسُ: المَنَازِلُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ في الدُّنْيَا، السَّابِع: أَسْبَابُ النَّجَاةِ تَقَطَّعَتْ عَنْهُمْ، والأَظْهرُ دُخُولُ الكُلِّ فِيهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَالنَّفْيِ، فيَعُمُّ الكُلَّ، فكَأَنَّهُ قَالَ: وزَالَ عَنْهُمْ كُلُّ سَبَبٍ يُمْكِنُ أَنْ يُتَعَلَّقَ بِهِ، وأَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بالأَسْبَابِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، مِنْ مَنْزِلةٍ، وسَبَبٍ، ونَسَب، وحِلْفٍ، وعَقْدٍ، وعَهْدٍ، وذَلِكَ نِهَايَةُ مَا يَكُونُ مِن اليَأْسِ، فحَصَلَ فِيهِ التَّوْكِيدُ العَظِيمُ في الزَّجْرِ"[1].

الاِسْتِعَارَةُ التَّمْثِيلِيَّةُ في تَقَطُّعِ الأَسْبابِ:

بَلاغَةُ هَذِهِ الآيَةِ مِـنْ بَـديـعِ ما يُـحَـيِّرُ الـعَـقْـلَ المُتَأَمِّلَ، في رَوْعَةِ القُرآنِ ودِقَّتِهِ

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ؛ فتَقَطُّعُ الصِّلَاتِ بَيْنَ الأَتْبَاعِ والمُتَّبَعِينَ، شُبِّهَ بِتَقَطُّعِ الحِبَالِ بِالَّذِي يصْعَدُ النَّخْلَةَ، عَلَى سَبِيلِ الاِسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ، وهُوَ تَمَاثُلٌ بَيْنَ صُورَتَيْنِ مُرَكَّبَتَيْنِ، وقَدْ فصّلَ الشَّيْخُ ابْنُ عَاشُور هَذِهِ الاِسْتِعَارَةَ، فقال: "شُبِّهَتْ هَيْئَتُهُمْ عِنْدَ خَيْبَةِ أَمَلِهِمْ، حِينَ لَمْ يَجِدُوا النَّعِيمَ الَّذِي تَعِبُوا لِأَجْلِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ، وقَدْ جَاءَ إِبَّانُهُ في ظَنِّهِمْ، فوَجَدُوا عِوَضَهُ العَذَابَ، بِحَالِ المُرْتَقِي إِلَى النَّخْلَةِ لِيجْتَنِيَ الثَّمَرَ الَّذِي كَدَّ لِأَجْلِهِ طُولَ السَّنَةِ، فتَقَطَّعَ بِهِ السَّبَبُ عِنْدَ ارْتِقَائِهِ فسَقَطَ هَالِكًا، فكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، قَدْ عَلِمَ كُلُّهُمْ حِينئِذٍ أَنْ لَا نَجَاةَ لَهُمْ، فحَالُهُمْ كَحَالِ السَّاقِطِ مِنْ عُلُوٍّ، لَا تُرْجَى لَهُ سَلَامَةٌ، وهِيَ تَمْثِيلِيَّةٌ بَدِيعَةٌ؛ لِأَنَّ الهَيْئَةَ المُشَبَّهَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ أَشْيَاءَ، كُلُّ واحِدٍ مِنْهَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ مُشَبَّهًا بِوَاحِدٍ مِن الأَشْيَاءِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الهَيْئَةُ المُشَبَّهُ بِهَا، وهِيَ: تَشْبِيهُ المُشْرِكِ في عِبَادَتِهِ الأَصْنَامَ، واتِّبَاعِ دِينِهَا، بالمُرْتَقِي، بِجَامِعِ السَّعْيِ، وتَشْبِيهُ العِبَادَةِ، وقَبُولِ الآلِهَةِ مِنْهُ، بالحَبْلِ المُوصِلِ، وتَشْبِيهُ النَّعِيمِ والثَّوَابِ، بِالثَّمَرَةِ في أَعْلَى النَّخْلَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا يَصِلُ لَهَا المَرْءُ إِلَّا بَعْدَ طُولٍ، وهُوَ مُدَّةُ العُمُرِ، وتَشْبِيهُ العُمُرِ بِالنَّخْلَةِ في الطُّولِ، وتَشْبِيهُ الحِرْمَانِ مِن المَوْصُولِ لِلنَّعِيمِ بِتَقَطُّعِ الحَبْلِ، وتَشْبِيهُ الخَيْبَةِ بالبُعْدِ عَن الثَّمَرَةِ، وتَشْبِيهُ الوُقُوعِ في العَذَابِ بِالسُّقُوطِ المُهْلِكِ"[2].

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/180-181.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/97-98.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»